ISSN 1871 – 2523 :للنسخة الإلكترونية

قـــــراءات في الميتـــــا فلسفـــــــة: دراســـــة في بنـــــاء المحتـــــوي المعـــــرفي

إعـــداد

د. إبراهيـــم حسين إبراهيـــم الشريف

المستخلـص:

تكمن معضلة الفيلسوف العربي في قصور الأدوات ووسائل التفكير السليم وفقـا" لمرجعية الرؤي المعاصرة، فالأمر لا يخلو من ثمة مغالطة والتباس في استخدام تلك الأدوات وهـذه الوسائل ، فنفض الغبار عن كل ما هو إنساني والاعتماد علي تنمية المجتمعـات العربيـة والإسلامية ثقافيا" وتوسيع دائرة الوعي بالواقع ومستجداته وتعزيز ثقة المواطـن في نفسـه وتحسين قدراته الذاتية ، ودعم الثقافة علي كل المستويات خاصـة الثقافة العلميـة ، لا يعنى النكوص ، أو الانكفاء علي الذات ، بل التعامل مع الحضارات المعاصرة علي أساس التكافؤ والحوار الإيجابي . إذن من الواضح أن ثمة تقابل ذهني بين فهم ثقافة الآخر وبين محاولة الانصهار فيها، فالعمل على فهم الآخر في تناول أدواته شيئا" مباح إذا أدي هذا الاستخدام إلي بناء كيان خاص قـادر علي الحوار والتكافؤ. فرؤيتنا نحو تقدم الغرب لا يمكن أن تُنسيني تراثنا فهو ماضينا، هو سلفنا، هو جزء من هويتنا، لكننا يجب أن نفرق بين ما يدرس ويصان حفاظا" علي التاريخ، وبين ما يدرس ويصان لأنـه لا يبلى بعوامل الزمن، كالأدب شعرا" ونثرا" ، وكفقه الفقهاء ، ولغتنـا العربية وعلم العلماء ، وغير ذلك مما تظل مشكلاته واردة مهما تغيرت عليه صور الحياة مع تغير العصور .

Abstract:

The dilemma of the Arab Philosopher lies in the deficiency of the tools and means of sound thinking according to the contemporary visionary reference . the matter is not without a fallacy and these means, so dusting off everything that is human and relying on the development Of Arab and Islamic Societies culturally, and expanding the circle of awareness of reality and its developments Enhancing the Citizen's self – confidence, improving his self- abilities, and supporting culture at levels, especially scientific culture, does not mean regression or self – reliance, but rather dealing with contemporary civilizations on the basis of equality and positive dialogue . so it is clear that there is a mental convergence between understanding the culture of the other and trying to assimilate in it. Working to understand the other in addressing its tools is something " permissible if this use leads to the building of a special entity capable of dialogue and equivalence, and our vision towards the progress of the west cannot forget me, it is our past . " it is our ancestor, it is part of our identity, but we must differentiate between what is studied and maintained in order to preserve history, and what is studied and maintained in because it does not match the factors of time, such as literature as poetry and prose ", the jurisprudence of the jurists , our Arabic language and the science of scholars, and other things whose problems remain contained, whatever change of ages .

المقـــدمـــة:

غاب علي الفيلسوف العربي مهمة هذا العصر، حين أنصرف باهتمامه عن المشاركة الإيجابية في حياة العلم المعاصرة، مكتفيه بما يأتيه منه نقلا" عن علماء الغرب، وبهذا التقصير وضع نفسه موضع الضعيف.

من هذا المنطلق كشف الباحث عن مصطلح " الميتا فلسفة " ما وراء الفلسفة كرؤية معرفية ذات ارث فلسفي يحلل ويفسر وينقد العقل والفكر والثقافة، ويعمل علي تحديث وتوسيع نمط المعرفة ، بمناقشة معرفة أسباب تعثر الفلسفة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية . هل هو الأداء أم الممارسة؟ بمعنى المنهج (تحديد المسار)، أم في كيفية تحقيق الهدف؟

يري الباحث أن الغموض واللبس الكامن في عدم تصحيح مسار الفكر الفلسفي يكمن في بحث الفلاسفة العرب والمسلمين ***عن الفلسفة***، لهذا غدت الفلسفة موضع استرابة الكثيرين، حتى وصف الجدل الفلسفي بأنه مماحكات لفظية، وكيلت للفلسفة تهم الغموض المفتعل، وعوز الجدوى، مما أدي إلى تشويه صورتها في الأذهان والتقليل من قيمتها.

غير أن الفلسفة تقوم برؤية استشرافية في تصحيح مسار الفكر الفلسفي ***في الفلسفة*** التي توجهنا نحو معرفة الحياة لترقب حدوث تطورات جذرية تطال بنية المجتمع ومنظومته القيمية والفكرية، والعلم وتطوراته وتقنياته ومسنداته، وما يستوجب إعادة النظر، هذه وتلك المستجدات من ثقافة فكرية وسياسية في بنية المجتمع، وما يستجد من تطورات علمية تخدم الإنسانية مع تقييم سلوكيات الضوابط الأخلاقية فيها؛ وهذه مهمة تتطلب أعمال مهارات التأصيل للمجتمع والعلماء في ضبط تلك التقنيات ودورها علي قيم المجتمع الأخلاقية وتصحيح المفاهيم، وهي مهارات ومقاصد وقيم لا مراء في أنها فلسفية بامتياز.

تحـــديث الثقـــافة العـــربية:

إن حديثنا عن ثقافتنا العربية لهُ عمق حضاري يتمثل في قضية معروضة تتلخص في نقطتين:

أولهما: _ التمسك بثقافتنا التقليدية، رغم كونها لا تقوي علي مواجهة العصر وقضاياه.

ثانيا: _ الحرج والحيرة التي أوقعتنا فيها ثقافة الغرب، واعتقدنا الدافين كونها تضيع علينا خصائصنا وتاريخنا وهويتنا المتميزة..

في الحقيقة نحن لا ندعو إلى اندماج يفضى إلى الانصهار في نسيج واحد مع ثقافة الغرب _ لكننا نبحث عن فسحه نجمع فيه البعث والنهوض ، إذا عرفنا كيف نسير في خط مشترك مع الآخر، والذي حدث في حياتنا بالفعل، هو أن جاورنا بين المصدرين أو الثقافتين ، ولم نستطع مزجهما معا" في حياة طبيعية واحدة.

من هنا كان الضعف والمرض والتجاوز بين أصيل ووافد دخيل. فلم يحاول الأصيل الاستفادة من الوافد الدخيل رغم توفر ما لديه من مادة علمية في شتى ميادين التخصصات، تؤخذ من أحدث مصادرها في الغرب المعاصر، هناك الأجهزة المتطورة في معامل الكليات العلمية، وهناك المراجع التي تمثل آخر ما وصل إليه الباحثون في الغرب، لكن هذا كله لا يزيد عند الدارس _ كما هو لا يزيد عند الاستاذ _ علي قشرة تكسو سطح الذاكرة، لتكون جاهزة للاستعمال إذا ما خرج ذلك الدارس إلى دنيا العمل، فالطبيب في طبه، والمهندس في

ميادينه، وغيرها من مجالات العلم. وهكذا إلى أخر التخصصات العلمية ويكاد الجميع أن يتلاقوا معا" على حالة من سلبية القبول لما يعرض عليهم. ليس هذا وحسب بين رجال العلم والفكر، بل بين العوام أيضا.

إن الرؤية تسري في تخلفنا عن ركب الحياة، بسبب عدم فهم سبل العمل وطرائق التفكير عند الآخر؛ فالنسيج الثقافي الذي يكسو حياة الناس يحتاج إلى تحديث ثقافي ليلتمس التغيير بإضافات تدخلنا في العصر الجديد.

السؤال الرئيسي: _ ما السبيل إلى اللحاق بركب الحياة؟. وما سبيلنا إلى تحديث ثقافتنا، دون المساس بالأصالة؟ نحنُ مقبلون على عصر لا يشبه ما قد سبقهُ، ولكن كيف تتم لنا التزود بتغذيه ثقافتنا لنخرج منها خلقا" جديدا"، مع محافظته على جوهره؟

إن طريقة التفكير وأسلوب العمل هما الاتجاه الأمثل نحو تحقيق المعرفة فهي الوسيلة التي لا تسبقها وسيلة أخرى، ليتحقق للمثقف اكتساب شخصية جديدة التي تصمد فيها خصائص الهوية العربية، ويضاف إليها بالدمج العضوي، خصائص تقتضيها الحياة الحديثة في عصر العلم.

والواضح أن أصحاب الانكفاء علي ثقافتهم الخاصة وتاريخهم الخاص . هم الذين يخشون علي خصوصيتهم الثقافية ان تأتى إليها عوامل خارجية، فتثقب جدرانها ، إنها أوهام الضعف والمرض ، وتظاهر بالثقة بالنفس، يخفي وراء شعورا" بالعجز .

إن أبرز صفه تميز اتجاه الفكر في عصرنا؛ إحلال " التغير " محل " الثبات"؛ في فهمنا للأشياء. أن التحول هو طبيعة الأشياء وصميمها، علي أن حياة الماضي ـ كأي شيء آخر ـ لم تمت ولن تمت . إلا أنها خيوط تدخل مع غيرها على مر الأعوام، في نسيج واحد، فلا الماضي يستطيع البقاء بذاته محصنا" من التغير، ولا الحاضر يستطيع البقاء بذاته مديرا" ظهره إلى الماضي ، فهذه كلها صور يخلقها خيال الشاعر ، وأما واقع العلم والتاريخ ، فهو أن حياتنا لن تبلغ نضجها في ظروف حاضرنا ، إلا إذا جاءت حلقة في سلسلة التحولات، بحيث يكون قوامها نسجا" تتداخل فيه خيوط ما مضي وخيوط ما حضر.

التأصيل الفلسفي في الفكر العربي:

ثمة انبلاج في العقل العربي، دافع عن العبث بالتفسير الهش للنص الفلسفي في العصر الذهبي للقيم الدينية، ما جعلها تحمي النشء من ترهات العبثين واسترابة الكثيرين، وتحسين صورتها في الأذهان والرفع من قيمتها .

فالفلسفة تقوم في حيوات الأمم بدور حاسم وخصوصا في صدر النهضة العربية الإسلامية الأولي، حيث لمست تطورات طالت بنية المجتمع ومنظومته الفكرية، مما يستوجب إعادة مهارات التأصيل والحجاج وتصحيح المفاهيم، والتصدي للتوجهات الجزمية والعرقية، فقد شهد القرن السادس الهجري حركة مميزة في تاريخ الفكر العربي والإسلامي. ففي هذا القرن كان " القول الفصل "، وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من اتصال " أطلقه ابن رشد (ت 595 هـ) . وفيه أيضا كان تصريح الإمام فخرالدين الرازي (ت 606 هـ) بعدم تكفير الفلاسفة وأصحاب المذاهب الإسلامية . فالمختار عند الإمام فخرالدين الرازي " إنه لا يكفر أحد من أهل القبلة " (فخرالدين الرازي _1938: 99) . ويقول أيضا": " لا يكفرُ أحد من هذه الأمة ولا يكفر أرباب التأويل "(فخرالدين الرازي _ 1938: 38). ويستغرب الن رشد تكفير أصحاب المذاهب بعضهم بعضا" واقتتالهم فيما بينهم وفي ذلك مخالفة لقوله عليه السلام: " أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي ". ويعلق ابن رشد على هذا الحديث الشريف بقوله: " يريد . أي الرسول . بأي طريق اتفق لهم من طرق الإيمان الثلاث " (ابن رشد _1968: 45). وهو يعنى بطرق الإيمان وقوع التصديق بأصناف الدلائل الثلاثة: الخطيبة والجدلية والبرهانية. فمع هذين المفكرين نجد أنفسنا باتجاه جديد للفكر الديني والفلسفي في الإسلام.

وكان هذا الاتجاه أكثر وضوحا" وجلاء مع ابن رشد. فمعه نصل إلى قمة النقد الفلسفي، وقمة النقد الديني وكلاهما من عمل العقل وفعله . وفلسفة ابن رشد النقدية تجعلنا نطلع على أرقي المحاولات المعاصرة في تقصيها لطبيعة الأديان في ذاتها من حيث هي معطى إلهي، وطبيعة الفكر وتجلياته في ميادين المعرفة والعلوم، وطبيعة التعامل مع الإرث البشري الفكري فيها جميعا". وفي فلسفته النقدية تتكشف نزعته الإنسانية التي تعالج المسائل الفكرية في عصره.

فيطرح نقده الفلسفي البناء في علاج تجليات النقد الفلسفي في الفكر العربي والإسلامي مع الغزالي وفلاسفة المغرب كابن باجه وابن طفيل، ودفاعه عن الفلسفة والفلاسفة ، وعرضه لأهم الآراء المشتركة بينه وبين فلاسفة الإسلام، كذلك نتذوق الفلسفة ونصها ومشروعه عندما نتطلع علي الآراء التي يخالف فيها ابن رشد فلاسفة الإسلام ، فتري خلافة في المنهجية وفي المسائل المتعلقة بالطبيعة وبالإلهيات ، وبخاصة ما يتعلق منها بقسمة الوجود ، وتقدم الله علي العالم، ومسألة الصدور، والفاعل في الشاهد وفي الغائب ، كما لا ننسي تميزه في شرح فلسفة أرسطو

وفهمه لها والأثر الذي تركه في فلسفة الغرب قبل الفلسفة العربية الإسلامية . والذي كان بموجبه أورث الإنسانية علم أرسطو كاملا" برئيا" من الشوائب.

من هنا نجد معالجة المشروع الفلسفي العربي الإسلامي يتطلب تجديد الخطاب الفلسفي العربي بشيء من النقد والتمحيص، فنحن بحاجة إلي إيديولوجيا عربية تتحدث عن الواقع العربي وتنطق باسمه وتعمل علي تفسيره ، أي الكشف عن الثوابت فيه : الثوابت التي لابد من خلخلتها وكسرها حتى يصبح التغيير ممكنا وحقيقيا" (محمد عابد الجابري . 1989: 182) . فالنقد الأيديولوجي ضروري لخلخة وكسر الثوابت التي يرتكز عليها الواقع العربي في مختلف مستوياته، لأن عمليات التعرية والكشف والخلخلة والكسر عمليات ضرورية سابقة لأي تغيير في مجتمع .ويصبح السؤال المطروح هنا : من أين نبدأ هل من التراث إلى الفكر المعاصر ، أم من الفكر المعاصر إلى التراث، أم من القضايا الراهنة إلى هذا الحقل أو ذاك؟

ما يرمي إليه الباحث هنا كشف نقاط الضعف في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ورفع نمط الوعي للجماهير في البلاد النامية ووصل المنقطع منه بالاستمرارية ، مع تنمية إيديولوجية عربية تتحدث عن كشف الثوابت التي لأبد من خلخلتها وكسرها حتى يصبح التغيير ممكنا وحقيقيا" . فالواقع المعرفي العربية يتطلب نقد إيديولوجي ضروري لخلخلة وكسر الثوابت التي يرتكز عليها الواقع العربي في مختلف مستوياته ، لأن عمليات التعرية والكشف والخلخلة والكسر عمليات ضرورية سابقة لأي تغيير في مجتمع .

فالوعي العربي ينقصه الاستمرار، وسعة الأفق وقوة التفكير، فهو يعني من عدم التواصل والتقطع، بسبب ضيق الأفق، ووعي ضيق مغلق ، وعدم القدرة على سبر الواقع وتشخيص أمراضه ، وعلاجها . مما جعلة وعي سلبي لا يتجاوز الإحساس بالمشكلة كما ينبغي. فالرؤية الواضحة المعالم للمثقف العربي أنه يعني من حالة قلق وتوتر تشعره بالفصل التام عن ماضيه، مما يجعله مقطوع الصلة بالحاضر والمستقبل الذي ينشدهُ ويطمح إليه.

رفض الواقع الفكري والفلسفي في المجتمعات العربية والإسلامية.

يري الكثير من النقاد العربي ومنهم محمد عابد الجابري بأن العقلية العربية تعنى من التقوقع داخل حقل معرفي معين لا تستطيع الآفلات منه ومنها الحقل المعرفي التراثي، والحقل المعرفي الأوروبي، فقد سجن المفكر العربي نفسه داخل أحد هذه الحقول، وحكم علي الحقول الأخرى بمنظار أحادي من الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، مما غيب ملكات النقد في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، أهمها حضور الآخر أي الغرب في حياتنا الثقافية، وهيمنة التراث العربي الإسلامي بشكله العتيق والمعتم، كما وصل إلينا بعد عصور الانحطاط. ولقد ساهم الفكر الغربي إسهاما" كبيرا" في سيادة نظرة التسليم، وقصور النقد في الفكر العربي الحديث والمعاصر.

هذا النقص والقصور يتملك العقلية العربية لشعورها الدائم والمستمر في عدم قدرتها علي خلق قفزة نوعية تعيد لهُ الثقة في الذات العارفة العربية القادرة علي الابداع والتطور والرقي. لهذا دعا المدافعين عن المشروع العربي الثقافي والفلسفي إلى تبني رؤية واضحة ومنهج نقدي، باستخدام معول النقد لأعاده النظر في نقد التراث العربي والقراءات المختلفة التي قامت عليه، من أجل تعديل الوعي العربي المقلوب . وإعادة تأسيس التراث من جديد حتي يكون صالحا" لنؤسس عليه نهضتنا الجديدة (مبروكة الشريف . 2007 : 72) .

الرؤية المستقبلية للواقع الفكري والفلسفي في الوطن العربي:

بطبيعة الحال لا يمكن للعرب كأمة لها تاريخها وتراثها، أن يتحرروا من هذا التراث ويرموه في البحر ، هذا غير ممكن نهائيا" ، ولذلك فالمطلوب منا هو استيعاب هـذا التراث استيعابا" عقلانيا" (محمد عابد الجابري . 256) . بمعني نكون رؤية عقلية عن مستقبلنا، ونظرا" لهيمنة التراث علي حياتنا، وإنتاجنا الفكري، وأدواتنا المعرفية، دع جل المثقفين وفلاسفة العرب إلى فك وتمحيص وتنقيت التراث الفلسفي العربي والكشف عن وظيفته الأيديولوجية لمـاذا؟ . لكونه اختلاط بعلم الحضارات القديمة كاليونان والفرس، وبمعتقداتهم وأفكارهم، وكان للفلسفة اليونانية تأثير كبير في عقول بعض المسلمين وهذا ما أثار نخوف بعض الفقهاء فعمدوا إلى مهاجمة الفلسفة ورفضها مما جعل بعض الفلاسفة العرب المسلمين الأوائل التصدي للرافضين للفلسفة ونصه هذا يؤكد ذلك ويتناول نص الإشكالية التالية : ـ

هـل يمكـن التوفيق بين الفلسفة والدين؟

هذا السؤال لب الخلاف الفلسفي مع الدين بسبب ضيق العقل العربي في فهـم الدين أو النص الديني برؤية متفتحة وعمق رؤية التحليل الفلسفي لبواطن الأمور. فلو فهم المفكر العربي كما فهم العلامة والفيلسوف ابن رشد التوافق بين الفلسفة والدين وإنه لا تعارض بين الفلسفة والدين بين العقل والنقل، لأن الفلسفة تساعدنا علي تأمل الموجودات وإدراك حقيقة صناعة الوجود هذه الصناعة المتقنة تدل في الحقيقة على روعة الخلق وإتقان الخالق. فالفلسفة أسلوب في التفكير، ونوع من النظر العقلي الهادف إلى كشف الحقيقة وإزالة الغموض وهذا ما أمر به الدين إذ حث علي استخدام العقل لبلوغ حقيقة الخالق وقدرته وعلمه وكماله. لتجنب المثقف والمفكر العربي هذا الأرث المترهل مـن التراث العربي الإسلامي السطحي، وللأصبح الإنسان العربي الإسلامي الأن في مكان مغاير تماما" لمكانه الذي يتهم فيه بالتخلف والجهل والجمود الفكري المتعصب. ليثبت للعالم من خلال عمق نظرته للمعرفة والعلم بأنه يعلم علم اليقين بتوافق الشرع مع الفلسفة مستخدما الحجج العقلية لبيان ذلك ويـعرف العالم والرأي الآخر بأن كلما كان المعرفة بالصنعة أتم كانت المعرفة بالصانع أتم ، والمعرفة التامة لن تكون إلا بالفلسفة . وإن الفلسفة منهج ضروري لفـهم الحقـائق الشرعية شرط تستخدم استخداما

صحيحا"(زروخي الدراجي . 2016 : 91) .

اضطراب المصطلح الفلسفي في الحطاب العربي المعاصر:

غالبا ما يقاس تقدم الأمم بقدر ما تتطور لغاتها، لأن اللغة هي التي تحفظ كافة أشكال المنجز الحضاري، سواء كان شفهيا"، أو كان مكتوبا"، فكلما كانت اللغة أكثر تنوعا" وخصوبة لفظية ودلالية، دل ذلك علي رقي المنجزات الحضارية التي تحفظها تلك اللغة. والجانب الفكري، بمظهره الفلسفي هو أحد أهم المنجزات الحضارية وأثرها التصاقا" باللغة.

ففي الحقبتين الحديثة والمعاصرة لم يسهم الفكر العربي إلا بنزر اليسير في النتاج الفلسفي، ولا نعلم هذا القصور المعرفي الملحوظ هل هو راجع إلي إلى أن اللغة العربية ليست لغة خطـاب فلسفي إم القصور يكمن في العقلية العربية في عدم الإلمام والفهـم الفلسفي الصحيح لحركة الفكري المعاصر ، والمنتج الفلسفي المحرك لتقدم المجتمعات. لذلك نجد بصورة ملحوظة علي الساحة الفلسفية المعاصرة بأن الكُتاب والمثقفين والمفكـرُون

واساتذة الفلسفة في الجامعات العربية يلاقون صعوبة في ترجمة الفكـر الغربي المتمثل في الكتب الغربية إلى اللغة الفلسفية على الوجه المطلوب منهم. فإذا كان هيجل يقول نحن لا نفكر إلا داخـل الكلمات وتأتي هذه الكلمات مشوه أو غير صحيح بنقلها إلى العربية فإنها سـوف تأخذ منحـا أخري غير الذي قيلت في صدده.

إذن هنا لا يجب علينا توجيه أصابع الاتهام إلى لغتنا العربية الغنية بالمصطلحات والمفاهيـم والخصوبة اللفظية والدلالية، في لغة البلاغة والقرآن الكريم، بل يعنى ذلك إن الخلل يكمـن في أقراني ممن يحملون علي أكتافهم حركة الترجمة والنقل للمثقف والمفكر العربي، وهـذا يتطلب منهم إزاحة العقبات التي تحـول دون دقة المراجعة العميقة للترجمات والمعاجم والموسوعـات الفلسفية التي كتبت بالعربية ، للوقوف علي أهم الصعوبات ، ومعرفة أبـرز الأخطاء، ومـا ينعكس سلبا علي كافة الأنشطة العلمية ، سواء الحركة البحثية ، أو عمـل المؤسسات الأكاديمية . كما أنه يؤثر علي الحركة العلمية بإكمالها.

هذا التحليل لا يعتبر إتهام ضمني لإصحاب الأقلام الداعم لحركة العلم والمعرفة علي الساحـة العربية من مترجمين وناقلين للعلم الغربي، لكنه لفت نظر لما وصل إليه تدني المستوي العربي من فهم وتحليل وتفسير للحركة الفكرية الفلسفية في الوطن العربي الأن، وهـذا ما نلتمسه بأن الفلسفة ليست غربية النشأة فحسب، بل إن تطوره في وقتنا الراهن غربي أيضا"، ولا ننكر أو نجحد إسهامات فلاسفة الفلسفة الإسلامية، وإحيائهم للنصوص الفلسفية الأصيلة ، لكننا يجب أن نعترف بالعجز أمام عدم قدرتنا علي النهوض بالفكـر الفلسفي ليعطي للعقـل العربي الفلسفي الفعـال دفعة إلى الأمام . إذ كما يقول فؤاد زكريا " إذ تطرحه أمامه الأسئلة الفلسفية الأصيلة وتقدم له نماذج العباقرة

" (فؤاد زكريا . 1978 : 10)، هذا بالفعل ما نبحث عنه في وطننا العربي، فهناك من العلماء العظام من انجروا وراء مبتدئين للفلسفة الغربية وترجموا لهم وكأنهم فطاحل الفلسفة وهم في الأصل أفضل منهم بمراحل ، لكن الشعور بالنقص للمثقف العربي لصيق به حتى في تفكيره نحو ثقافة الآخر للأسف الشديد . لهذا لم نستطع مقارعة الغرب في تفوقنا عليهم أو اللحاق بهم في ركب التقدم والرقي والتطور. لأننا نحمل هذا الشعور علي الدوام ولم نعمل جاهدين للتخلص منه.

وعلى كل حال، قد رأينا إن مشكلة ترجمة المصطلحات والنصوص الفلسفية، هي مشكلة عالمية، نحول دون قيام لغة فلسفية عالمية، وهذا يجعل حريا بنا كفلاسفة عرب ومسلمين التفكير توحيد مفاهيمنا ومصطلحات لنثبت لأنفسنا بأننا نسير علي الطريق الصحيح للحركة الإصلاحية للفكر والفلسفة في وطننا العربي، ولا ننسى بأن فلاسفة الغرب أنفسهم يعانون نفس إشكالية نقل الترجمة حرفيا" من لغة إلى لغة" أخري ، والدليل علي ذلك قول الفيلسوف (هايدجر Heidegger . 1889 _1976)، فهو يعتبر: " أن الترجمة الفلسفية التي يتكلمها شعب ما ، أو على مستوى الاصطلاح العلمي وما شابهه ، مثل الوثيقة القانونية أوالمادة الإعلامية، لأن المفاهيم الفلسفية ليست مجرد ألفاظ أو مصطلحات ، بل هي مفاهيم مفكرة يمنحها الإنسان بلغته في أفق تأويلي لذاته من حيث هو كينونة في العالم " . (فتحي المسكيني -2012: 17). ويريد هايدجر القول بأنه يحاول استكمال النقص من لغته بنقل فكر له باللغات الأخرى، وقد نقل الكثير من الكلمات من اليونانية إلى الألمانية وأدى ذلك في النهاية إلى صعوبة لغته نفسها.

أنا أنقل إليكم أناس تتذوق الفلسفة وترمي بذلك إلى دفع مجتمعها إلى الفهم الذي من خلال يدفع عجلة التطور والتمدن إلى الأمام، لكن الطامة الكبرى كيف لنا أن ننقل فكر إلى لغة شعب ليس علي استعداد بأن يشارك في النتاج الفلسفي سواء أكان محليا" أو عالميا" (المجتمع العربي)، ***فهل يحق للفلاسفة نقل نتاج فلسفي لشعوب أخري لشعوب لا تملك لغتها الفلسفية الخاصة ؟***

بمعنى أخر _ هل يحق للفيلسوف العربي نقل ثقافة الآخر ونظامه الفكري لثقافته العربية ذات البنية المختلفة والتي ترزح تحت تأثير ثقافة دينية صارمة؟ ! .

قد تكون وجهه نظري بها إجحاف أو تحامل علي مجتمعنا العربي، لكن التقوقع الفكري، والجمود المعرفي التي نلاحظه هو ما دفعني كباحث إلى قول ذلك لطرح رؤيتنا علي القارئ العربي، حول التوفيق بين ماهوا تراثي وما هو معاصر، وشرح رؤية كل طرف له حججه التي يحاول أن يدحض بها مشروعية قيام الطراف الأخر.

هذا هو للأسف الانطباع الذي ارتسم في إذهان علي العقلية العربية وثقافتها ومفهومة لتفسير الواقع والحياة من حولها، ولا نعلم أمته ومتى تنجلي هذه الغمه من العقلية العربية والإسلامية .

فلم نعد نعرف هل الخلل في العقلية العربية أم في اللغة العربية أم في النقل علي لغات الشعوب الأخرى، أم إنه مركب طبيعي في الجنس العربي.

وأخيرا" ندعو كافة العاملين في مجال الفلسفة من مثقفين وكتاب وفلاسفة وأعضاء هيئة تدريس في الجامعات العربية إلي توحيد اللغة الفلسفية ومصطلحاتها، فالاهتمام بالمصطلح من وجهه نظري وتحديد دلالاته قد يزيل بعض الاختلافات، كما قال ديكارت: " أن أتفاق الفلاسفة على معاني الكلمات فإن كل خلافاتهم تقريبا ستنتهي " (حبيب الشاروني ـ 1999 : 5) .

ولذلك يكون من الضروري وضع معجم فلسفي (عربي / علمي) ، والدعوة إلى توحيد اللغة الفلسفية للقضاء علي كثير من الصافات الفلسفية التي تنشأ عن عدم توحيد المصطلحات الفلسفية (خليل علي خليل ـ 2001 : ص . ق (أ . د)) .

هذا من شأن سد النقص البارز والواضح في الكتابات الفلسفية وترجمتها وتوحيدها ، والبعد عن الغموض المفتعل بغية تغطية العجز الواضح في الترجمات ، لأن عدم وجود موسوعات فلسفية عربية نقدية معاصرة ، هو أمر يعد من المفارقات ، ويدعو إلى سؤال ملح ، ماذا يدرس عن الفلسفة في اللغة العربية ، قبل ترجمة تلك الموسوعات العالمية ؟ . وذلك في إشارة إلى ضرورة الربط بين المصطلحات الفلسفية وترجمتها وتوحيدها، وبين دراسة الفلسفة وقيام خطاب فلسفي عربي.

ولأبد من التذكير مرة أخري، بأن مسئولية صياغة لغة ومصطلحات فلسفية عربية، لا تقع فقط على المختصين في اللغة العربية، ليست مشكلة متعلقة باللغة وحدها، بل لها جانب فكري، حتى لو افترضنا أن هناك موسوعات فلسفية، فلا يمكن أن تكون ناجحة، بدون تفاعل فكري، فالتفاعل مع الأعمال الموسوعية والمصطلحات الفلسفية، مرهون بحاجة الفعل العربي للفلسفة وبمدي مساهمته فيها (خليل أحمد خليل ـ 2001 : ص . ق (أ . د)) . فالترجمة العربية عندما تخلق سياقا" لغويا" ، غير مصحوب بسياق فكري فلسفي ، فستصبح اللغة الفلسفية، وكأنها جعجعة ولغو . (محمد محجوب ـ 2008 : 179) . ففشل الكثير من الموسوعات

الفلسفية في ترسيخ لغة فلسفية وعدم شهرة الكثير من المصطلحات الفلسفية المتقنة، يرجع أساسا لغياب حركة فلسفية حقيقية. كذلك الأنتماءات للمدارس الفلسفية والمؤسسات التعليمية في صياغة اللغة الفلسفية والانتماءات لبعض الخلفيات الثقافية للمدراس الاوروبية والأمريكية، كونها تخضع لتجاذبات متعددة، منها الجانب الثقافي، فالمترجمون يترجمون وفقا" لخلفيتهم الثقافية التابعة ثقافيا" للدول الذي درسوا بها. وهذا جانب خلافي أخر يتطلب دراسة مستفيضة، تعد مشكلة من المشاكل الفلسفية المرتبطة بالفلسفة في الوطن العربي.

الخـــــــاتمة:

في الحقيقة ما آلة إليه الفلسفة في مجتمعنا العربي والإسلامي يدعو إلي وقفة مع الذات العارفة بالتراث الفكري والفلسفي في الوطن العربي ،لنلتمس نقاط الضعف في عدم قدرتنا باللاحـق بركب العلم والتطور والاستقلالية الفكرية الداعمة للفكر البناء في كيان المجتمعـات العربية .

ولكن التساؤل المطروح كيف السبيل إلي ذلك في ظل هذا التشرذم الذهني للفيلسوف والمفكر العربي ؟ !

الحل يكمن في وضع أيدينا على الخلل، تحديد المسار دور القيم والاعراف والعقائد في المجتمع، وتغيير الخطاب العربي الإسلامي، فأولي العوائق الأبستمولوجيا التي عطلت فعالية العقـل العربي، هي خضوعه لسلطة النماذج التي يستعيرها سواء مـن التراث العربي الإسلامي، أو التراث الغربي.

يجب أن يتمتع الخطاب العربي الفلسفي بالاستقلالية وكمال حريته من تحليل وفهم ونقـد، لا يخضع للاستلاب الفكر وتجميده وفقدانه حريته، ويجب أن يرتبط الخطـاب الفلسفي بالواقـع المعـاش وبمرجعية متفتحة قادرة علي التغيير والتبديـل متى تغيرت أسـاليب الحيـاة والدخول في حوار نقدي، وذلك هي الوسيلة المثلة للتحرر من الآخر (الغرب)، أما التحرر من الآخر بمعني التراث، فهو لا يعني إلقائه في سلة المهملات أو إلغائه، إن التحرر مـن التراث معناه امتلاكه، ومن ثم تحقيقه وتجاوزه. وهذا مالا يأتي لنا إلا إذا قمنا بإعادة بنائه.

هذه رؤيتنا للواقع الفلسفي في مجتمعاتنا العربية، وسبل معالجتها عن طريق الفكر والعلم إن تم تطبيقه كما ينبغي علي وقعنا المجتمعي المعاش.

قائمة المصادر:

- ابن رشد " فصل المقال " ، تحقيق : ألبير نصري نادر ، ط 2 ، دار المشرق ، بيروت ، 1968 ، ص45.
- حبيب الشاروني ، صفاء عبدالسلام " قراءة للمصطلح الفلسفي " ، دار الثقافة ،الاسكندرية ، ص5 .
- 11 . خليل محمد حليل " مقدمة الطبعة العربية ، في (موسوعة لا لاند الفلسفية " لا لاند ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، عويدات . بيروت ، ص . ق . (أ . د) .
- 12. خليل محمد حليل " مقدمة الطبعة العربية ، في (موسوعة لا لاند الفلسفية " ، المصدر نفسه .
- زروخي الدراجي " هزيم الرعد في الفلسفة " ، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ، 2016 ، ب ط ، ص91 .
- فخرالدين الرازي " التفسير الكبير ج2 ، 1938 ، ص38.
- فخرالدين الرازي " معالم أصول الدين " دار النشر . دار الفكر اللبناني ، ص99 .
- مبروكة الشريف جبريل " الخطاب النقدي العربي المعاصر " . الخطاب الجابري نموذجا" ، ج1 ، المركز العالمي لدراسات وابحاث الكتاب الأخضر _ بنغازي . ليبيا ، ط2 ، 2007 ، ص72 .

- محمد محجوب " مقدمة المترجم في تحقيق الذهن البشري " ديفيد هيوم، ترجمة: محمد محجوب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 179.
- محمد عابد الجابري " التراث والحداثة " دراسات ومناقشات، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1991 ، ص256 .
- محمد عابد الجابري " إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1، 1989 ، ص 182
- فؤاد زكريا " المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي " ، ليبنتز ، ترجمة : عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص10 .
- فتحي المسكيني " مقدمة الترجمة العربية في (الكينونة والزمان) " ، مارتن هايدجر ، ترجمة : فتحي المسكيني ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ص 17 .